

تفسير ابن كثير

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ^ط وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

قال البخاري : (استجيبوا) أجبوا ، (لما يحييكم) لما يصلحكم . حدثنا إسحاق ،

حدثنا روح ، حدثنا شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن قال : سمعت حفص بن عاصم

يحدث عن أبي سعيد بن المعلى قال : كنت أصلي ، فمر بي رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - فدعاني فلم آته حتى صليت ، ثم أتته فقال : ما منعك أن تأتيني ؟ ألم يقل الله : (

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ثم قال : لأعلمنك أعظم

سورة في القرآن قبل أن أخرج ، فذهب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليخرج ،

فذكرت له ، وقال معاذ : حدثنا شعبة ، عن خبيب بن عبد الرحمن ، سمع حفص بن

عاصم ، سمع أبا سعيد رجلا من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بهذا - وقال : هي

(الحمد لله رب العالمين) السبع المثاني . هذا لفظه بحروفه ، وقد تقدم الكلام على هذا

الحديث بذكر طريقه في أول تفسير الفاتحة . وقال مجاهد في قوله : (لما يحييكم) قال :

الحق .وقال قتادة (لما يحييكم) قال : هو هذا القرآن ، فيه النجاة والتقاء والحياة .وقال
السدي : (لما يحييكم) ففي الإسلام إحيائهم بعد موتهم بالكفر .وقال محمد بن إسحاق
، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير : (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله
وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) أي : للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد الذل ،
وقواكم بها بعد الضعف ، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم .وقوله تعالى : (
واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس : يحول بين المؤمن وبين الكفر ،
وبين الكافر وبين الإيمان .رواه الحاكم في مستدركه موقوفا ، وقال : صحيح ولم يخرجاه
، ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعا ولا يصح لضعف إسناده ، والموقوف أصح .
وكذا قال مجاهد ، وسعيد ، وعكرمة ، والضحاك ، وأبو صالح ، وعطية ، ومقاتل بن
حيان ، والسدي .وفي رواية عن مجاهد في قوله : (يحول بين المرء وقلبه) حتى تركه
لا يعقل .وقال السدي : يحول بين الإنسان وقلبه ، فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه
.وقال قتادة هو كقوله : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) [ق : 16] .وقد وردت
الأحاديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما يناسب هذه الآية .وقال الإمام

أحمد : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن أنس بن مالك - رضي
الله عنه - قال : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ،
ثبت قلبي على دينك . قال : فقلنا : يا رسول الله ، آمنة بك وبما جئت به ، فهل تخاف
علينا ؟ قال : نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقلبها . . وهكذا رواه
الترمذي في " كتاب القدر " من جامعه ، عن هناد بن السري ، عن أبي معاوية محمد
بن حازم الضرير ، عن الأعمش - واسمه سليمان بن مهران - عن أبي سفيان - واسمه
طلحة بن نافع - عن أنس ثم قال : حسن . وهكذا روي عن غير واحد عن الأعمش ،
رواه بعضهم عنه ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
وحديث أبي سفيان عن أنس أصبح . حديث آخر : قال عبد بن حميد في مسنده : حدثنا
عبد الملك بن عمرو ، حدثنا شعبة ، عن الحكم ، عن ابن أبي ليلى ، عن بلال - رضي
الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك . هذا حديث جيد الإسناد إلا أن فيه انقطاعا وهو مع ذلك على شرط أهل السنن
ولم يخرجوه . حديث آخر : وقال الإمام أحمد : حدثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت ابن

جابر يقول : حدثني بسر بن عبد الله الحضرمي : أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول :

سمعت النواس بن سمعان الكلابي - رضي الله عنه - يقول : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين ، إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاعه . وكان يقول : يا مقلب القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك . قال : والميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه . وهكذا رواه النسائي وابن ماجه ، من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر فذكر مثله . حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا يونس ، حدثنا حماد بن زيد ، عن المعلى بن زياد ، عن الحسن ؛ أن عائشة قالت : دعوات كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو بها : يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك . قالت : فقلت : يا رسول الله ، إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء . فقال : إن قلب الآدمي بين إصبعين من أصابع الله ، فإذا شاء أزاعه وإذا شاء أقامه . حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا عبد الحميد ، حدثني شهر ، سمعت أم سلمة تحدث : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يكثّر في دعائه يقول : اللهم يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك . قالت : فقلت يا رسول الله ، أوإن القلوب لتقلب ؟ قال :

نعم ، ما خلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين إصبعين من أصابع الله - عز وجل -
- فإن شاء أقامه ، وإن شاء أزاغه . فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله
أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب . قالت : قلت : يا رسول الله ، ألا تعلمني دعوة
أدعو بها لنفسي ؟ قال : بلى ، قولي : اللهم رب النبي محمد ، اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ
قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ما أحيتني . حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا
أبو عبد الرحمن ، حدثنا حيوة ، أخبرني أبو هانئ ، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه
سمع عبد الله بن عمرو ؛ أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن قلوب
بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن ، كقلب واحد يصرف كيف شاء . ثم قال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - : اللهم مصرف القلوب ، صرف قلوبنا إلى طاعتك . انفراد
بإخراجه مسلم عن البخاري ، فرواه مع النسائي من حديث حيوة بن شريح المصري ، به .